The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Psalms (49 & 50)	سِفْر المزامير (المَزموران 49 و 50)
#D_20081126	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 651
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ، صَديقي المُستَمِع، في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم". في حَلْقَةِ اليوم، سَنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا التَّفسيريَّة لِسِفْرِ المَزامير على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

فَإنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على المَزْمور 49. أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ، يا صَديقي، هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

هَلْ يَجوزُ لَنا أنْ نَعْبُدَ اللهَ بِشِفاهِنا فقط؟ وهَلْ يَجوزُ لَنا أنْ نُرَكِّزَ على المُمارساتِ الطَّقسيَّةِ ونَنْسَى اللهَ الحَيَّ؟ وهل اللهُ يُريدُ مِنَّا ذبائِحَ أوْ تَقْدِماتٍ؟ وكيفَ نَتَجَنَّبُ غَضَبَ اللهِ ونَكونُ مَرْضِيِّينَ عِنْدَهُ؟ سَوْفَ نَجِدُ الإجاباتِ عَنْ جَميعِ هذهِ الأسئلةِ وَغَيْرِها في حَلْقَةِ اليوم.

وَالآنْ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُستَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ نَتَأمَّلُ فيهِ في المَزمورَيْن 49 و 50، دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

لقد وَصلنا، يا أحبائي، إلى المزمورِ التَّاسِعِ وَالأربَعينَ وَهُوَ بعُنوان: "لإمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِبَنِي قُورَحَ. مَزْمُورٌ". وَمَعَ أنَّنا لا نَعْرِفُ ظُروفَ كِتابَةِ هذا المَزمور، فإنَّهُ مَزْمورٌ يَتَحَدَّثُ عنْ بُطْلِ الكُنوزِ الأرْضِيَّةِ، وسُرْعَةِ زَوالِ الحَياةِ، وبُطْلِ الغِنى. وهُوَ يَتحدَّثُ أيضًا عنْ نِهايةِ الأشخاصِ الَّذينَ يَفْتَخِرونَ بِكَثرةِ غِناهُم. وسوفَ نَرى أيضًا في هَذا المَزمورِ كَلِمَةَ تَشْجيعٍ للأبرارِ لأنَّ اللهَ يَحْفَظُ أولادَهُ دائمًا ويُعْطيهم رَجاء.

والآنْ، يَقولُ المُرَنِّمُ في الأعداد 1 4:

اِسْمَعُوا هذَا يَا جَمِيعَ الشُّعُوبِ. أَصْغُوا يَا جَمِيعَ سُكَّانِ الدُّنْيَا،
عَالٍ وَدُونٍ، أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ، سَوَاءً.
فَمِي يَتَكَلَّمُ بِالْحِكَمِ، وَلَهَجُ قَلْبِي فَهْمٌ.
أُمِيلُ أُذُنِي إِلَى مَثَلٍ، وَأُوضِّحُ بِعُودٍ لُغْزِي.

في هذهِ الأعدادِ الافتتاحِيَّةِ، يَدعو المُرَنِّمُ جَميعَ الشُّعوبِ وجَميعَ سُكَّانِ الدُّنْيا إلى الإصغاءِ إلى نَشيدِهِ عَنْ بُطْلِ الأمورِ الأرضيَّةِ. وَهُوَ يَدْعو الأغنياءَ والفُقَراءَ إلى الإصغاءِ. فَالموضوعُ الَّذي سَيتحدَّثُ عنهُ مُهِمٌّ لِجَميعِ النَّاسِ دونَ استثناء. فقد كانَ المُرَنِّمُ يَعْلَمُ أنَّ النَّاسَ جميعًا سيُدانونَ بالعَدْلِ. لذلكَ فإنَّهُ يُريدُ أنْ يَسْمَعَ الجَميعُ كَلامَ الحِكْمَةِ الَّذي سيَقولُهُ لهم. وَهُوَ يَقولُ إنَّهُ سيُوَضِّحُ قَصْدَهُ مِنْ خِلالِ هذا النَّشيدِ الَّذي سَيُنْشِدُهُ بِمُرافَقَةِ آلَةِ العُوْدِ. والحقيقةُ هي أنَّ كَلامَ الحِكْمَةِ الَّذي سيَقولُهُ هُوَ ليسَ كَلامَ حِكْمةٍ بشريَّةٍ، بل هُوَ كَلامٌ وَضَعَهُ اللهُ في قَلْبِهِ وعلى لِسانِهِ لكي يُشارِكَهُ معَ السَّامِعين. وَهُوَ يَقولُ إنَّهُ سَيَقولُ ذلكَ الكَلامَ بِصيغَةِ "مَثَلٍ" (أوْ "حِكْمَةٍ") بَعْدَ أنْ ضَبَطَ أوْتارَ العُوْدِ وَصارَ جاهِزًا لتَقديمِ هذهِ التَّرنيمَةِ لَهُمْ.

والآنْ، لِنَسْتَمِعْ إلى ما سَيَقولُهُ المُرَنِّمُ عَنْ بُطْلِ الأمورِ الأرْضِيَّةِ إذْ نَقرأُ في العَدَدَيْن 5 و 6:

لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ؟
اَلَّذِينَ يَتَّكِلُونَ عَلَى ثَرْوَتِهِمْ، وَبِكَثْرَةِ غِنَاهُمْ يَفْتَخِرُونَ.

نَرى هُنا أنَّ المُرَنِّمَ لا يَعِظُ الآخَرينَ إلَّا بَعْدَ أنْ يَعِظَ نَفسَهُ. فَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ أوَّلًا ويَقولُ: "لِمَاذَا أَخَافُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ عِنْدَمَا يُحِيطُ بِي إِثْمُ مُتَعَقِّبِيَّ؟" فالخَوْفُ مِنَ النَّاسِ وَالظُّروفِ ليسَ مِنْ صِفاتِ المُؤمِنِ الحَقيقيِّ. فَمَعَ أنَّ الأشرارَ كانُوا يَتَرَبَّصونَ بالمُرَنِّمِ وَيُخَطِّطونَ لإيذائِهِ، فإنَّهُ كانَ مُطْمَئِنًّا. وهُوَ يَقولُ هُنا إنَّهُ لا يَخافُ "في أيَّامِ الشَّرِّ". وقد تُشيرُ العِبارَةُ "في أيَّامِ الشَّرِّ" إلى زَمَنِ الشَّيخوخَة. ولكنَّ البارَّ لا يَخْشى المَوتَ لأنَّهُ يَنْظُرُ إليهِ كَجَسْرٍ للعُبورِ إلى الحياةِ الأبديَّة.

كذلكَ، قَدْ تأتي على البارِّ أيَّامُ شَرٍّ بسببِ الأشرارِ الَّذينَ يَتَّكلونَ على ثَروتِهم ويَفتخرونَ بِكَثرةِ غِناهُم. ولكِنَّ المُرَنِّمَ لا يَخْشاهُمْ أيضًا. فإنْ كانُوا هُمْ يَفْتَخِرونَ بِأموالِهِم، فإنَّنا نَفْتَخِرُ بالرَّبِّ. فالثَّروةُ لا قيمَةَ أبديَّةَ لها. وهناكَ أُمورٌ كَثيرةٌ لا يُمْكِنُ للمالِ أنْ يَشتريها. وأوَّلُ شَيءٍ لا يُمْكِنُ للمالِ أنْ يَشتريه هُوَ الخَلاص. ورُبَّما كانَ بُطرُسُ يُفَكِّرُ في ذلكَ حينَ كَتَبَ في رِسالَتِهِ الأولى 1: 18 و 19: "عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ".

ثُمَّ يَقولُ المُرَنِّمُ في الأعداد 7 12:

الأَخُ لَنْ يَفْدِيَ الإِنْسَانَ فِدَاءً، وَلاَ يُعْطِيَ اللهَ كَفَّارَةً عَنْهُ. وَكَرِيمَةٌ هِيَ فِدْيَةُ نُفُوسِهِمْ، فَغَلِقَتْ إِلَى الدَّهْرِ. حَتَّى يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ فَلاَ يَرَى الْقَبْرَ. بَلْ يَرَاهُ! الْحُكَمَاءُ يَمُوتُونَ. كَذلِكَ الْجَاهِلُ وَالْبَلِيدُ يَهْلِكَانِ، وَيَتْرُكَانِ ثَرْوَتَهُمَا لآخَرِينَ. بَاطِنُهُمْ أَنَّ بُيُوتَهُمْ إِلَى الأَبَدِ، مَسَاكِنَهُمْ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. يُنَادُونَ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الأَرَاضِي. وَالإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ. يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ.

فلو أعْطى الإنسانُ كُلَّ ثَروتِهِ، لن يَقْدِرَ أنْ يَفْدي أخاهُ مِنَ الموتِ. فالثَّروةُ والمالُ والمُمتلكاتُ لا قِيمة لها عندَ اللهِ. لذلكَ، عِنْدَما تَحينُ لحظةُ الموتِ، لا يمكنُ لأيِّ إنْسانٍ أنْ يَفدي أحِبَّاءَهُ مِنَ الموتِ حَتَّى لو قَدَّمَ كُلَّ أموالِهِ. فعندَ لَحْظَةِ الموتِ، يَتَساوى الغَنِيُّ والفَقير، ويَتساوى الحَكيمُ والجاهِلُ. وكَما قَرَأنا قبلَ قليل، فإنَّ المَسيحَ افْتَدانا لا بأشياءَ تَفْنى، بِفِضَّة أوْ ذهب، بَلِ افْتَدانا بِدَمِهِ الكَريم. لذلكَ، لَيْتَنا جَميعًا نُدركُ أنَّنا "بُخارٌ يَظْهَرُ قليلًا ثُمَّ يَضْمَحِلّ". ويا لَيْتَنا نُدْرِكُ حاجَتَنا المُلِحَّة إلى قَبولِ الرَّبِّ يَسوعَ مُخَلِّصًا لِحياتِنا قَبْلَ فَواتِ الأوان.

ثُمَّ يَقولُ المُرَنِّمُ في الأعداد 13 15:

هذَا طَرِيقُهُمُ اعْتِمَادُهُمْ، وَخُلَفَاؤُهُمْ يَرْتَضُونَ بِأَقْوَالِهِمْ. سِلاَهْ. مِثْلَ الْغَنَمِ لِلْهَاوِيَةِ يُسَاقُونَ. الْمَوْتُ يَرْعَاهُمْ، وَيَسُودُهُمُ الْمُسْتَقِيمُونَ. غَدَاةً وَصُورَتُهُمْ تَبْلَى. الْهَاوِيَةُ مَسْكَنٌ لَهُمْ. إِنَّمَا اللهُ يَفْدِي نَفْسِي مِنْ يَدِ الْهَاوِيَةِ لأَنَّهُ يَأْخُذُنِي. سِلاَهْ.

أجَلْ يا صَديقي. فطَريقُ العالَمِ هُوَ طريقُ الجَهالَةِ. فالذي يَتَّكِلُ على ثَرْوَتِهِ هُوَ إنْسانٌ جاهِلٌ. ومِنَ المُؤسِفِ حَقًّا أنَّ خُلَفاءَهُمْ (أيْ مَنْ يَرِثونَهُمْ ويَأتونَ بَعْدَهُمْ) يَعْمَلونَ أعْمالَهُمْ أيضًا. وكما أنَّ الغَنَمَ تَسيرُ وَراءَ الرَّاعي دونَ تَفْكيرٍ حَتَّى لو قادَها إلى الهاوِيَةِ، فإنَّ الأشخاصَ الَّذينَ يَتَّكِلونَ على المالِ والغِنى يَسْمَحونَ لأهوائِهِمْ أنْ تَقودَهُمْ إلى الهاوِيَةِ أيضًا. وحينئذٍ فقط سيُدركونَ أنَّ ثَروتَهُم ليستْ شيئًا. ولكنَّ المُرَنِّمَ يَقولُ إنَّ اللهَ يَفْدي نَفْسَهُ مِنْ يَدِ

الهاويةِ لأنَّهُ يأخُذُهُ. وهذا هُوَ ما فَعَلَهُ يَسوعُ لأجْلِنا. فمِنْ خِلالِ قِيامَتِهِ مِنَ الأمواتِ، أعْطانا رَجاءً في القيامَةِ والحياةِ الأبديَّةِ مَعَهُ.

ثُمَّ يَقولُ المُرَنِّمُ في الأعداد 16 20:

لاَ تَخْشَ إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ. لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلَّهُ لاَ يَأْخُذُ. لاَ يَنْزِلُ وَرَاءَهُ مَجْدُهُ. لأَنَّهُ فِي حَيَاتِهِ يُبَارِكُ نَفْسَهُ، وَيَحْمَدُونَكَ إِذَا أَحْسَنْتَ إِلَى نَفْسِكَ. تَدْخُلُ إِلَى جِيلِ آبَائِهِ، الَّذِينَ لاَ يُعَايِنُونَ النُّورَ إِلَى الأَبَدِ. إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ.

بعدَ أنْ تَحَدَّثَ المُرَنِّمُ عَنْ خِبْرَتِهِ الشَّخصيَّةِ فإنَّهُ يَقولُ لِكُلِّ واحِدٍ مِنَّا: "لاَ تَخْشَ إِذَا اسْتَغْنَى إِنْسَانٌ، إِذَا زَادَ مَجْدُ بَيْتِهِ. لأَنَّهُ عِنْدَ مَوْتِهِ كُلَّهُ لاَ يَأْخُذُ". بعبارةٍ أُخرى، إذا رأيتَ الأشرارَ يَنجحون، لا تَخَفْ، ولا تُعِرِ الأمْرَ أيَّ اهتمامٍ، ولا يُساوِرُكَ الشَّكُّ في عَدالَةِ اللهِ. فالأشرارُ قد يَنجحونَ وَقتِيًّا، ولكِنَّهُمْ عندَ الموتِ لا يأخذونَ مَعَهُمْ شيئًا. بل سَيَنْضَمُّونَ إلى جيلِ آبائِهِمْ الأشرار ويُواجِهونَ المَصيرَ نَفْسَهُ.

ويُلخِّصُ المُرَنِّمُ الأمْرَ كُلَّهُ في الكلماتِ الأخيرةِ مِنْ هذا المَزمور فيَقول: "إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ". بِمَعْنىً آخر، حَتَّى لو كانَ الشِّرِّيرُ يَعيشُ أثناءَ حَياتِهِ الأرْضِيَّةِ حَياةً كَريمَةً، فإنَّهُ يَبْقى في نَظَرِ اللهِ جاهِلًا ويُشْبِهُ البَهائِمَ الَّتي لا تَهْتَمُّ إلَّا بإشْباعِ غَرائِزِها. والحَقيقَةُ هِيَ أنَّ نِهايَةَ هؤلاءِ ستكونُ مُريعَةً لأنَّهُمْ سَيَمْضونَ إلى العَذابِ الأبديِّ. أمَّا مَنْ يُؤمِنُ بيسوعَ المسيحِ فإنَّهُ سيَحْيا مَعَهُ إلى أبدِ الآبدين. فقد قالَ يسوع في إنْجيل يوحنَّا 11: 25 و 26: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ". لذلكَ، ليتَ الرَّبَّ يُعْطينا حِكْمَةً لكي نَتَّكِلَ لا على الغِنى والمالِ والثَّروةِ، بل على اللهِ الحَيِّ، لَهُ كُلُّ المجد.

ونأتي الآنَ، يا أحبَّائي، إلى المَزْمُورِ الخَمْسين، وَهُوَ مَزْمُورٌ لآسَاف. وهذا هُوَ المَزمورُ الأوَّلُ لآساف في سِفْرِ المَزامير. وقد كانَ آسافُ واحِدًا مِنْ قادةِ التَّرنيمِ وكُتَّابِ المَزامير. ويُقْسَمُ هذا المَزمور إلى ثلاثَةِ أقسامٍ رَئيسيَّةٍ: القِسْمُ الأوَّلُ يَبتدئُ بالعددِ الأوَّلِ ويَنتهي بنهايةِ العددِ السَّادِس. والقسمُ الثاني يَبتدئُ بالعددِ السابعِ ويَنتهي بنهايةِ العددِ الحادي والعِشرين. والقسمُ الثالثُ يَحوي العَدَدَيْن 22 و 23.

والآنْ، لِنَقْرَأ ما قالَهُ المُرَنِّمُ في القِسْمِ الأوَّلِ مِنْ هذا المَزمور (أيْ في الأعداد 1 6):

إِلهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ تَكَلَّمَ، وَدَعَا الأَرْضَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا. مِنْ صِهْيَوْنَ، كَمَالِ الْجَمَالِ، اللهُ أَشْرَقَ. يَأْتِي إِلهُنَا وَلاَ يَصْمُتُ. نَارٌ قُدَّامَهُ تَأْكُلُ، وَحَوْلَهُ عَاصِفٌ جِدًّا. يَدْعُو السَّمَاوَاتِ مِنْ فَوْقُ، وَالأَرْضَ إِلَى

مُدَايَنَةِ شَعْبِه: «اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتْقِيَائِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ».
وَتُخْبِرُ السَّمَاوَاتُ بِعَدْلِه، لأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّيَّانُ. سِلاَهْ.

نَجِدُ هُنا، يا أصدقائي، نِداءً مِنَ اللهِ إلى كُلِّ الأرْضِ لِحُضورِ مُحاكَمَتِهِ لِشَعْبِهِ. ونَجِدُ هُنا ثلاثَةَ أسْماءٍ مَجيدَةٍ للهِ "إلَهُ الآلِهَةِ الرَّبُّ" (أيْ: إيْل إلوهيم يَهْوَه). فَهُوَ إلَهُ القُدْرَةِ غيرِ المَحدودةِ والجَلالِ والرَّحْمَةِ. وَهُوَ مَلِكُ المُلوكِ الَّذي يَمْتَدُّ سُلْطانُهُ إلى أطْرافِ الأرْضِ. وَهُوَ يَعْقِدُ مُحاكَمَةً لِشَعبِهِ بسببِ رِيائِهِمْ، ويُحَذِّرُ الأشرارَ أيضًا.

ويَقولُ المُرَنِّمُ "يأتي إلَهُنا ولا يَصْمُت". فَهُوَ يأتي للخُطاةِ وَالأشرارِ بالدَّينونَةِ. ولكنَّهُ يأتي لِشَعْبِهِ بالخَلاصِ. وعندما يأتي الرَّبُّ بالدَّينونةِ فإنَّ حُضورَهُ يكونُ مَصْحوبًا دائمًا بالنَّارِ والرِّيحِ العاصِفَةِ. وَهُوَ يَدْعو هُنا السَّماواتِ مِنْ فَوْقُ والأرْضَ. فالملائِكَةُ والنَّاسُ جَميعًا مَدْعُوُّنَ لمشاهدةِ العَدالَةِ الإلهيَّةِ. فالجميعُ سيَتَّحِدونَ معًا في إدانَةِ الخَطِيَّةِ. وَهُوَ يَقولُ: "اجْمَعوا إلَيَّ أتْقيائي، القاطِعينَ عَهْدِي عَلَى ذَبيحَةٍ". فاللهُ هُوَ الَّذي يَقْدِرُ أنْ يُمَيِّزَ بينَ الأبرارِ والأشرارِ. وَهُوَ يأمُرُ هُنا بِجَمْعِ مُخْتاريه. ونَرى هُنا أنَّ السَّماواتِ نَفْسَها تَشْهَدُ أنَّ أحْكامَ اللهِ حَقٌّ وعادِلَةٌ. فاللهُ هُوَ الدَّيَّانُ. وهذا يَعني أنَّ هذهِ المُحاكَمَةَ ستكونُ عادِلَةً بِكُلِّ تأكيد.

وهُناكَ أُناسٌ يَقولونَ إنَّ اللهَ خَلَقَ العالَمَ ثُمَّ ابْتَعَدَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ يُديرُ نَفْسَهُ بنفسِهِ. لذلكَ فإنَّ بُطْرُسَ الرَّسولَ يَقولُ في رِسالتهِ الثانيةِ 3: 3 و 4: "عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاقٍ هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ»". ويُتابِعُ بُطْرُسُ حَديثَهُ قائلًا: "لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ، لكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ. وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا. ... وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ. لِذلِكَ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ أَنْتُمْ مُنْتَظِرُونَ هذِهِ، اجْتَهِدُوا لِتُوجَدُوا عِنْدَهُ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ عَيْبٍ، فِي سَلاَمٍ". إذًا، يجبُ علينا جَميعًا أنْ نَعْلَمَ أنَّ يومَ الدَّينونةِ آتٍ لا مَحالَة.

ثُمَّ نأتي إلى القِسْمِ الثَّاني مِنْ هذا المَزمور، وَهُوَ يَحْوي ثُهْمَتَيْن: الثُّهْمَة الأولى مَذْكورَةٌ في الأعْداد 7 15 وَهِيَ: التَّعَلُّقُ بالطُّقوس. فنحنُ نَقرأ:

«اِسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأَتَكَلَّمَ. يَا إِسْرَائِيلُ فَأَشْهَدَ عَلَيْكَ: اَللهُ إِلهُكَ أَنَا. لاَ عَلَى ذَبَائِحِكَ أُوَبِّخُكَ، فَإِنَّ مُحْرَقَاتِكَ هِيَ دَائِمًا قُدَّامِي. لاَ آخُذُ مِنْ بَيْتِكَ ثَوْرًا، وَلاَ مِنْ حَظَائِرِكَ أَعْتِدَةً. لأَنَّ لِي حَيَوَانَ الْوَعْرِ وَالْبَهَائِمَ عَلَى الْجِبَالِ الأُلُوفِ. قَدْ عَلِمْتُ كُلَّ طُيُورِ الْجِبَالِ، وَوُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ عِنْدِي. إِنْ جُعْتُ فَلاَ أَقُولُ لَكَ، لأَنَّ لِي الْمَسْكُونَةَ وَمِلأَهَا. هَلْ آكُلُ لَحْمَ الثِّيرَانِ، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟ اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ، وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي».

إنَّ الكَلامَ في هذهِ الأعدادِ مُوَجَّهٌ إلى شَعْبِ اللهِ الَّذي كانَ يُكْرِمُ اللهَ بِشَفَتَيْهِ، أمَّا قَلْبُهُ فمُبْتَعِدٌ عَنْهُ. فقد تَرَكوا الحَقَّ والرَّحْمَةَ والإيمانَ وَرَكَّزوا على الطُّقوسِ فقط. وَيُذَكِّرُهُمُ اللهُ هُنا بعلاقَتِهِمْ بِهِ. فَهُمْ شَعْبُهُ الَّذينَ اختارَهُمْ ليكونوا أُمَّةً مُقَدَّسَةً. وَهُوَ يَقولُ لَهُمْ إنَّهُ لا يُوَبِّخُهُمْ على ذَبائِحِهِمْ لأنهم كانوا يُقَدِّموها لهُ دائمًا. ولكنَّهُ يُوَبِّخُهُمْ لأنَّهُمْ كانُوا يُقَدِّموها دونَ تَكْريسِ قَلْبيٍّ.

وَهُوَ يَقولُ لَهُمْ إنَّهُ ليسَ بِحاجَةٍ إلى تَقْدِماتِهِمْ لأنَّهُ مُكْتَفٍ بِذاتِهِ. وَهُوَ يُوَضِّحُ لِشَعْبِهِ الطَّريقَ الصَّحيحَ فيقولُ لَهُ: "اِدْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ العَلِيَّ نُذُورَكَ، وَادْعُنِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ أُنْقِذْكَ فَتُمَجِّدَنِي".

وَذَبائِحُ اللهِ، يا أحبَّائي، هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. لذلكَ، كانَ يَنْبَغي لهم أنْ يَعْترفوا بخطاياهُمْ ويَتوبوا عنها. وبعدَ الاعترافِ بالخطيَّةِ والتَّوبةِ عنها يأتي دَوْرُ تَقديمِ ذَبائحِ الحَمْدِ. فَإنْ فَعَلوا ذلكَ فإنَّهُ يَقْبَلُ ذبائِحَهُمْ وَيُصْغي إلى صَلَواتِهِمْ وَتَضَرُّعاتِهِمْ فَيُنَجِّيهم في أوقاتِ الضِّيق. لذلكَ، إذا أرَدْتَ، صَديقي المُستمِع، أنْ تُعْطي اللهَ شَيئًا فَقَدِّمْ لَهُ قَلْبَكَ وَكَرِّسْ لَهُ حَياتَكَ.

وَنَجدُ في الأعْداد 16 21 تُهْمَةً ثانِيَةً وَهِيَ التَّمَرُّدُ والعِصْيان. فنحنُ نَقرأُ:

وَلِلشِّرِّيرِ قَالَ اللهُ: «مَا لَكَ تُحَدِّثُ بِفَرَائِضِي وَتَحْمِلُ عَهْدِي عَلَى فَمِكَ؟ وَأَنْتَ قَدْ أَبْغَضْتَ التَّأْدِيبَ وَأَلْقَيْتَ كَلاَمِي خَلْفَكَ. إِذَا رَأَيْتَ سَارِقًا وَافَقْتَهُ، وَمَعَ الزُّنَاةِ نَصِيبُكَ. أَطْلَقْتَ فَمَكَ بِالشَّرِّ، وَلِسَانُكَ يَخْتَرِعُ غِشًّا. تَجْلِسُ تَتَكَلَّمُ عَلَى أَخِيكَ. لابْنِ أُمِّكَ تَضَعُ مَعْثَرَةً. هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ.

إذًا، فقد كانتِ التُّهمةُ الأولى مُوَجَّهَةً إلى شَعْبِ اللهِ. أمَّا التُّهمةُ الثانيةُ فَهيَ مُوَجَّهَة إلى الأشرارِ والمُرائينَ الَّذينَ كَسَروا وَصايا اللهِ. فَهُمْ مُصِرُّونَ على العَيْشِ في الخطيَّةِ وَيَتَظاهَرونَ بالحِكْمَةِ. ولكنَّهُمْ في نَظَرِ اللهِ الحَيِّ أشْرار. فَهُمْ يُوافِقونَ على أعْمالِ السَّرِقَةِ، وَيُرافِقونَ الزُّناةَ، ويَتَكَلَّمونَ بالشَّرِّ والنَّميمَةِ على الآخرينَ، ويُمارِسونَ الغِشَّ والخِداعَ، ويُعْثِرونَ الآخَرين. وَهُمْ يَعْلَمونَ في قُلوبِهِمْ وضَمائِرِهِمْ أنَّهُمْ قد صَنَعوا كُلَّ هذهِ الشُّرور. وَهُمْ يَظُنُّونَ أنَّ اللهَ لا يُبالي بِما يَفْعَلون. ولكنَّ اللهَ ليسَ عاجِزًا عَنْ مُعاقَبَتِهِمْ حالًا، ولكنَّهُ يَتَمَهَّلُ وَيَصْبِرُ عليهم لكي يُعْطِيَهُمْ فُرْصَةً للتَّوبة حَتَّى يكونوا بلا عُذْرٍ. وهذا هُوَ الخَطَأُ المُميتُ الَّذي يَقْتَرِفُهُ كثيرون. فَهُمْ يَستهينونَ بِغِنى لُطْفِهِ وإمْهالِهِ وطُولِ أناتِهِ. ولكِنَّ اللهَ لَنْ يَبْقَ ساكِتًا وَصامِتًا إلى الأبد. وَهَذا هُوَ ما نَقْرَأُهُ في العَدَدَيْنِ الأخيرَيْنِ مِنْ هَذا المَزمورِ إذْ نَقرأُ في العَدَدَيْن 22 و 23:

افْهَمُوا هذَا يَا أَيُّهَا النَّاسُونَ اللهَ، لِئَلاَّ أَفْتَرِسَكُمْ وَلاَ مُنْقِذَ. ذَابِحُ الْحَمْدِ يُمَجِّدُنِي، وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ».

ويا لَهُ مِنْ تَحذيرٍ قَوِيٍّ للخُطاة! فالله "لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ". لذلكَ فإنَّهُ يُوَجِّهُ نِداءَ التَّوبةِ هذا إلى تِلْكَ الفِئَتَيْنِ: أيْ إلى الَّذينَ يَتَّكِلونَ على المُمارَساتِ الطَّقسيَّةِ، وإلى الَّذينَ يَعيشونَ في الخطيَّةِ. وَهُوَ يُحَذِّرُهُمْ أنْ يَفْهَموا كَلامَهُ هَذا قَبْلَ فواتِ الأوان لِئَلَّا يَفْتَرِسَهُمْ. فإنِ افْتَرَسَهُمْ، لنْ يَتَمَكَّنَ أحَدٌ مِنْ إنقاذِهِمْ مِنْ دَيْنونَتِهِ. وَهُوَ يَقولُ لَهُمْ: "ذابِحُ الحَمْدِ يُمَجِّدُني" أيْ إنَّ تَقديمَ الحَمْدِ للهِ أعْظَمُ مِنْ كُلِّ الذبائحِ. وَهُوَ يَقولُ أيضًا: "وَالْمُقَوِّمُ طَرِيقَهُ أُرِيهِ خَلاَصَ اللهِ". فحياةُ القداسةِ والطَّهارةِ هِيَ دَليلٌ على خَلاصِ الله. آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

مِنَ الواضِحِ تمامًا أنَّ اللهَ لا يَنْتَظِرُ مِنَّا ذبائِحَ أوْ تَقْدِمات، بل هُوَ يُطالِبُنا بأنْ نُقَدِّمُ لهُ الحَمْدَ مِنْ قَلْبٍ صَادِقٍ يُقَدِّرُ نِعْمَتَهُ وَخَلاصَهُ الثَّمين. لذلكَ، ليتَنا جَميعًا نُقَدِّمُ للهِ قُلوبَنا ونُكَرِّسُ لَهُ حَياتَنا لأنَّهُ يَستحقُّ أنْ نُقَدِّمَ لَهُ الكُلَّ.

وَفِي الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) دِراسَتَهُ لِسِفْرِ المَزامير. لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

صَلاتُنا لأجلِكَ، صديقي المُستمع، هيَ أنْ تَتجاوَبَ مَعَ نِعْمَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ تَجاوُبًا سليمًا وصَحيحًا لأنَّ كَلِمَةَ اللهِ تَقول: "هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ". وصَلاتُنا لأجلِكَ أيضًا هيَ أنْ تَبْتَعِدَ عَنِ الطُّرُقِ الشِّرِّيرَةِ وَأنْ تَكونَ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللهِ دائِمًا لأنَّ "رَحْمَتَهُ أَفْضَلُ مِنَ الحَيَاة". باسْمِ رَبِّنا وَمُخَلِّصِنا يَسوعَ المَسيح. آمين.